

## ندوة

"كتاب تاريخ موحد للبنان".. الدوران في حلقة مفرغة  
جريدة اللواء، الجمعة، 20 نيسان 2012 الموافق ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٣

## أكاديميون ينتدون بحثاً عن حل



من اليمين: سنو، الخطيب، كلش، حلاق، العطروني ونعمان

قدّم للندوة الزميل إلياس العطروني مرحّباً بالمنتدين باسم «اللواء» قائلاً: يتطرق موضوع هذه الندوة الى مسألة تعتبر أكثر من حسّاسة، بل يمكن وصفها بالخطيرة. وهي سبّبت وتَسبّب لغاية اليوم أزمة كبيرة في البلد. نتحدّث عن كتاب التاريخ الموحد الذي لم يتفق عليه اللبنانيون بعد. لجان ولجان تشكّلت في الأعوام الأخيرة، حتى بدا الأمر وكأنه مُستعصي عن الحل.

في هذه الندوة التي تجريها «اللواء» مع كبار الأساتذة الذين لهم علاقة بالتاريخ وبعملية التاريخ، وبكيفية منهجته، وهم الدكاترة: عبد الرؤوف سنو، حسان حلاق، جهاد نعمان ونشأت الخطيب. سوف نسعى الى الخروج بتصوّر لخطوط عريضة، تضع قطار كتاب التاريخ الموحد على السكة الصحيحة. ولا سيما أن ما يميّز ندوتنا هذه، هو الكلام بحرية من دون أي إشارة أو إبعاز من الخارج أو الداخل. فالجميع متفقون على أن وطناً من غير تاريخ، هو وطن من غير هوية.

الأساتذة المنتدون، أدلوا بأرائهم وتبادلوا وجهات نظرهم وكشفوا المعوقات الأساسية التي تحول دون توحيد كتاب التاريخ في المنهاج المدرسي، وذلك ضمن المحاور التي طرحت كالتالي وهي:

1- هل نحن فعلاً بحاجة الى تاريخ موحد؟

2- على أي حقبة تاريخية الاختلاف واقع؟

3- كيف عالجت كتب التاريخ الوضع لغاية الآن؟

4- اللجان التي تألفت لمعالجة الموضوع، لماذا لم تنتج نتيجة؟

5- هل يمكن كتابة تاريخ لبنان مع إلغاء مراحل حساسة منه؟

د. سنو: بعد تغيير الحكومة عادت الأمور إلى نقطة الصفر. إن الدول المتفقة على هويتها وانتمائها، ليس عندها مشكلة بأن يكون لديها عدة كتب تاريخ. أما في لبنان فنحن لدينا مشكلة في هذا المضمار، ولا نختلف إلا على التاريخ. لا شك في أن التاريخ يتضمّن تجارب الشعوب وثقافتها وعلاقتها مع بعضها البعض. أما تاريخنا اللبناني فيتضمّن قضايا لم تحسم لغاية اليوم. وكوني عضواً في اللجنة التي عكفت على وضع دروس كتاب التاريخ أود أن أشير إلى أننا لم نختلف في تحديد الدروس حتى الصف الثامن الأساسي. لم نختلف على أي نقطة. فكلما بعدّ الحدث عن حاضرنا، كلما ابتعدنا عن نقاط الخلاف. حتى مسألة الفينيقيين، والحضارة العربية الإسلامية، لم يطرأ خلاف عليهما. أقول هذا الكلام، لأؤكد أننا بحاجة إلى كتاب تاريخ موحد لا خلاف عليه. إذ طالما أننا لم نضع هذا الكتاب، فستظل كل مدرسة وكل طائفة تعلم في مدارسها ومناهجها كتاب التاريخ بمضمون مختلف ووقائع مغايرة عن الأخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل نستطيع أن نعلم التاريخ في كتاب موحد، وأن نتفق على مضامينه، بدون تسويات على مسائل تاريخية وقعت؟ أعاود التذكير والقول أننا في اللجنة اتفقنا على كل شيء حتى الصف الثامن. ولكن عندما دخلنا إلى تاريخ مرحلة الحاضر، بدأنا ندخل في ايديولوجيات ومصالح حزبية.. لقد وافق الحزبيون على المنهج الذي وضعناه سابقاً، ولكن بعد تغيير الحكومة، جرى رفض المنهج، ورجعت الأمور إلى نقطة الصفر بالنسبة لكتابة التاريخ الحديث.

د. الخطيب: النظام القائم لا يستطيع إلا أن يقدّم تاريخاً طوائفياً. إن كل كتاب تاريخ، ينبغي أن ينطلق من نظام حكم معين. وطالما أننا لم نستطع إلى اليوم إنجاز قانون انتخابي، فكيف بإمكاننا وضع كتاب تاريخ له مرحلة زمنية؟ إن نظام الحكم هو الذي يطبق ثقافته على كل انماط المجتمع، ومنها النظام التربوي، وكتاب التاريخ، والحالة الثقافية. لكن نظام الحكم عندما يحكم بالتوافق وبالطوائف، لذلك لن يستطيع هذا الحكم أن يقدّم إلا تاريخاً طوائفياً. إن الدولة القادرة هي التي تفرض سلطتها في إنجاز كتاب تاريخ موحد. شخصياً أرى أن مرحلة العام 1948 هي المرحلة التي بدأ الاختلاف عليها وصولاً إلى ما مرّ من مراحل حتى يومنا هذا. وأرى أننا إذا أردنا أن نضع منهجيات كتاب التاريخ، علينا أن نضعها انطلاقاً من الحدث.. عندئذ لن نختلف في التدوين والتحديد. أما التفسيرات فستوضع عليها نجمة ويصار إلى تقارب في التفسير لا في الحدث. إذ لا يمكننا إلغاء حدث حصل. لذلك أقول نحن بالتأكيد بحاجة إلى كتاب تاريخ موحد من أجل توحيد الأجيال الجديدة، ويجب التوصل إلى وضع منهجية لكتابة هذا التاريخ.

- د. سنو مستطرداً: الحكومة الحالية لا تريد تأريخ الأحداث من العام 2005. قالها الوزير غابي ليون.

د. حلاق: لن يكون هناك ثقافة موحدة تجاه تاريخ لبنان. لقد كان لكل من عصام خليفة وناطوان حكيم دعوة إلى تدوين أسباب الحرب الأهلية في لبنان. بدءاً من العام 75 وما فوق. أي أن نذكر الدوافع التي فجّرت الحرب، وأن نذكر نتائجها السلبية بشكل عام، لتكون عظة للبنانيين. وللحقيقة أحب أن أؤكد على نقطة مهمة. قبل اتفاق الطائف الذي انجز في العام 1989، لم يكن هناك من كتاب تاريخ موحد. فلماذا وضع اتفاق الطائف بنداً خاصاً حول ضرورة توحيد كتابي التاريخ والتنشئة الوطنية؟ لقد اعتبر الطائف أن الاختلاف في كتب التاريخ، وأن الاختلاف على

الثقافة التاريخية، كانت سبباً من أسباب حرب الـ 75. لذلك اجتهدوا في أن يكون عندنا كتاب موحد للتاريخ. ولكن في الواقع، ينبغي التأكيد على أن كتاب التاريخ غير الموحد، ليس هو العامل الوحيد لنشوب الحرب اللبنانية. فهذه الحرب لها أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وطائفية ومذهبية، فضلاً عن الجوانب الإقليمية والدولية، بما فيها الجانب الإسرائيلي. إلا أنني أود القول والتأكيد أنه لو وجد كتاب للتاريخ في لبنان، لن يكون هناك ثقافة موحدة تجاه تاريخ لبنان. وقد أشار الدكتور عمر فروخ في كتابه «دفاعاً عن العلم دفاعاً عن الوطن» أن المشكلة المعقدة مع الجمهورية اللبنانية، ليست في كتب التاريخ، إنما في مَنْ يدرس التاريخ». نحن كنا طلاباً، وكنا أساتذة. كان أساتذتنا يقولون لنا انسوا مضمون الكتاب والمعلومات الواردة فيه، ما نقوله لكم هو الصحيح. من هنا أرى أننا يجب أن نحضّر الانسان اللبناني الذي يؤمن بالعيش المشترك، وبأن هناك تاريخاً للبنان يوحد اللبنانيين. ولكن للأسف، كل واحد حسب منطقته وطائفته وحزبه، وحسب ميوله السياسية، لا يهتم بكتاب التاريخ، بل بالتاريخ غير المدون. ثم إن هناك نوعاً من التناقض بين مدرسة وأخرى، وبين أساتذ وأخر، وبين منطقة ومنطقة. ناهيك عن كتب التاريخ التي أساساً فيها تناقضات. مثلاً بعض هذه الكتب يعتبر الأمير فخر الدين أول بان للاستقلال. وكتب أخرى كانت تعتبره متعاملاً مع الغرب. لذلك نحن نعول كثيراً على كتاب تاريخ موحد. وأعتقد من خلال تجربتي المتواضعة في تعليم التاريخ، في المرحلة الثانوية، سابقاً، وفي الجامعة حالياً، أن من أهم كتب التاريخ المقبولة من كل اللبنانيين، هي كتب «دار العلم للملايين». فلم يكن فيها أي مشكلة، وكانت موزعة في كل الأنحاء اللبنانية، وصياغتها كانت صياغة مهمة، لا تشكّل أي حساسية لا عند المسلم ولا عند المسيحي. وقد شارك في وضع هذه الكتب أربعة مؤرخين، أذكر منهم شفيق جحا، وأبو شهلا. لقد كانوا يؤمنون بالعيش المشترك. لذلك نحن نحتاج إلى كتاب تاريخ موحد، لإنهاء مشكلة عويصة تواجه لبنان، والمشكلة ليست محصورة في إنجاز هذا الكتاب، بل تتخطى ذلك إلى مسألة تحضير المعلم وكيف يعلم مادة التاريخ. لقد واجهنا في كل اللجان التي وضعت لغاية اليوم عوائق عدة بسبب تأليف اللجان من تشكيلات طائفية، وبسبب تدخل الجهات والأحزاب في تحديد المنهج. ومن الضروري الإشارة في هذا السياق، إلى أننا حتى اليوم لم نختلف على كتاب تاريخ جاهز، بل ما زال المؤرخون والقيّمون على هذه القضية، في مرحلة وضع العناوين فقط. فما بالك بالتأليف؟

د. نعمان: ينبغي الاتفاق على المفاهيم. ينبغي أن نتفق على المفاهيم فرنكو، وئاتورك، وهنلر، وسواهم اصطلاحاً على المفاهيم في وضع التاريخ. ما معنى الديمقراطية، ما معنى الإنسانية، ما معنى الوطن، والانتماء إلى الوطن.

د. سنو: ائاتورك فرض الدولة بالقوة من خلال جيشه.

د. حلاق: يكتبون دائماً عن شارل مالك وجبران وأبي ماضي، أين فروخ والنقاش وقدورة؟! نعم نحن بحاجة إلى الاتفاق على مصطلحات تنضح بالحلول. أسوق لكم مثلاً حدث معنا، عندما كنا نجتمع في المركز التربوي في سن الفيل ضمن لجنة تشكّلت من إبراهيم بيضون، ومحمد مخزوم، وعباس أبو صالح وأنا. كنا تشكيلية «طائفية» أنا عن السنة، وعباس أبو صالح عن الدرّوز، وهكذا. كان ثمة تحسس واجهنا في وضع عنوان «الفتح العثماني». البعض قال هذا ليس فتحاً بل هو احتلال عثماني، فأقدمنا على إيجاد تسوية واقترحنا عنوان «الحكم العثماني». هذا ما على اللجنة المختصة في وضع كتاب التاريخ، أن تعمل عليه. وما أكثر هذه اللجان التي تتعاقب دون نتيجة نهائية. علينا أن نذكر الوقائع التاريخية دون أي حساسية، وأن نختار العناوين - الحل. مثلاً عبارة الحروب الصليبية تثير حساسيات وأنا ضد استخدامها. فلنرجع إلى المصادر العربية الأصيلة، لم تستخدم هذا العنوان، بل استخدمت عنوان «حروب الأفرنج». أنا مع إعادة التسميات إلى أصولها، ومع أن يُعطى كل ذي حق حقه. دائماً يكتبون عن شارل مالك وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي. وأنا من الذين يتساءلون أين الجانب الآخر، أين عمر فروخ

وزكي نقاش وزاهية قدورة؟ ان التوازن في مثل هذه الأمور مهم جداً. وقد قلت ذلك للوزيرين السابقين حسان دياب وحسن منيمنة. خلاصة القول يجب وضع كتاب تاريخ موحد يذكر الوقائع الساخنة في حاضر لبنان وتاريخه الحديث بعموميته وعناوينها العريضة، دون الدخول في التفاصيل، فما هو المغزى من ان أدون أحداث 7 أيار بتفاصيل مستفزة ضمن كتاب تاريخ رسمي ومدرسة رسمية؟ ان توحيد الرؤى، وتوحيد الشعب اللبناني، هما الهدف من كتاب تاريخ موحد.

د. سنو: الوزير منيمنة لم يعتقد أن هناك أحزاباً تنتظر عند الزوايا، ومؤيداً لكلام حلاق: قلنا للوزير حسن منيمنة لا تدخل في تفاصيل حرب 75، بل بالخطوط العريضة وللمعلومات الأساسية لها، كلغة الحرب اقتصادياً وبشرياً. عدد القتلى، عدد المهجرين، تحديد الخسارة... إلخ... مع ذكر التفاف اللبنانيين حول اتفاق الطائف وموافقته عليه. لكن الوزير منيمنة كان له رأي بتغطية الأحداث وصولاً حتى العام 2010. هذا برأبي، خطأ استراتيجي. لقد اعتقد الوزير ان حكومة الحريري باقية، لم يعتقد ان هناك احزاباً تنتظر عند الزوايا، إذ ما ان تغيرت الحكومة حتى تنصّلت هذه الأحزاب من المسؤولية، وتراجعت عن مواقفها.

د. نعمان: برأبي، ان مرور الوقت هو الذي يساعد على وضع دروس التاريخ في اطار تفسيري بناءً. الأرمن على سبيل المثال، لهم تجربة صعبة مع الاتراك. قالوا بعد مرور زمن نحن نغفر لهم، ولكن لا ننسى، فعندما يستطيع المرء أن يغفر اخلاقياً ولا ينسى عقلياً يمكنه البدء بمرحلة تاريخ، انا أدرس في مجالات الفلسفة واللاهوت، ورفض أن استلم من طلابي اطروحة عن فيلسوف لا يزال حياً. إذ قد يحدث أي شيء مع هذا الفيلسوف، فد يغير نظرياته، وهكذا ينبغي أن نفعل في تدوين التاريخ، أن ننتظر مرور الزمن على الأحداث الساخنة والمؤلمة، أن نبتعد عن تاريخ التفاصيل حتى زمن آخر. وقد طرحت في هذا المضمون وضع كتب متعددة لتاريخ موحد.. هو حل جيد.. إذ ان الوصول الى تاريخ موحد يعتبر المؤشر والحل في الوقت نفسه. هو مؤشر الى أننا أصبحنا دولة بكل معنى الكلمة، ونمارس السياسة بكل معنى الكلمة. وإلى جانب كتاب التاريخ، علينا أن نضع كتاب التربية الوطنية المدنية، من اجل تربية المواطن الصالح، وكتاب التربية الاخلاقية، من أجل تربية الانسان الفاضل. هذه الكتب تمهد لأن نصل في المستقبل الى تدوين تاريخ الحرب اللبنانية (1975) دون أي حساسيات.

د. الخطيب: كنت أدرس في العام 1974 في كتاب التربية المدنية، درس شروط الوظائف العامة التي من بينها، شهادة الليسانس، وشهادة حسن سلوك، فرجع طالب يده وسألني: الذي يريد أن يعمل رئيساً للجمهورية، هل يتطلب ذلك منه سجلاً عدلياً؟ أجبتة: أكيد. قال: أنا أبي مقتول، قتلته سليمان فرنجية.

د. حلاق: الدول الكبرى في العالم، لا تنشر وثائقها السرية إلا بعد مرور أربعين عاماً. لذلك علينا أن نتغاضى عن تفاصيل تدوين الحرب، وأن نذكر فقط أسبابها ونتائجها: 150 ألف قتيل، 150 ألف معوق، مليون مهجر، مليون مهاجر.. ستون مليار ليرة خسارة.. على سبيل المثال لا التحديد الآن. يمكننا بذلك أن تأخذ الأمثلة والعبرة في أن واحد.

د. سنو: اعتقد في هذه المسألة برمتها، ان المدرّس والمنهج لهما الدور الأساسي في تعليم مادة التاريخ للتلامذة. ويأتي من بعدهما البيت الأسري.. الذي هو اليوم بيت طائفي بكل أسف. فحتى اليوم ثمة اختلاف على تحديد مفهوم الشهيد والمقاومة.

د. حلاق: الذاكرة التاريخية تتوارثها الأجيال. أنا كتبت مرة في «اللواء» عن الشهيد عمر حمد، كان لي كلمة في تكريم بلال حمد، قلت عنه انه سليل الشهيد عمر حمد. أحد كبار المثقفين

والذي هو من بيروت ومسلم سني قال لي: حسان ما هذا الخطأ، كيف تقول عنه شهيداً، وآباؤنا وأجدادنا يعتبرونه

قلت له: كلا. علينا أن نصحح التاريخ، عمر حمد، عبد الغني العريسي والشيخ أحمد طيارة، هؤلاء طالبوا بالاصلاح والتحديث، وطالبوا بالعروبة وقت التتريك ووقت التعصب التركي. لم يكونوا خونة. لذا أقول هنا انه من الضروري توحيد المصطلحات وتحديد المفاهيم حول من هو الشهيد عند اللبنانيين. كما ينبغي ان نتوقف عند العناوين العريضة للحروب الداخلية، ونترك التفاصيل التي تتحدث عن الذبح والقتل بين الطوائف، والتي تصف بشاعة ما حدث وفضاعته.

د. نعمان: حتى مفهوم المقاومة، وهو أمر خلافي. باعتقادي يجب أن نُغلب الفكرة على الحدث. حتى لا نغرق في المناهات وتبادل الاتهامات. ولا خلاف على الخلاف. علينا أن نخفف عن وطأة الأحداث. وعلينا أن نتفق على نقاط متقاربة في تحديد المفاهيم. حتى مفهوم المقاومة هو أمر خلافي. فكلنا مقاومون، وكل إنسان منا هو مقاوم من واقعه وميدانه ودوره.

- د. حلاق: نعم بإمكان العقل البشري أن يجد مصطلحات فهو ليس عاجزاً. مثلاً كان هناك اختلاف في الماضي أيام الحكم العثماني على تحديد هوية مَنْ دافع عن بيروت. الدروز أم السنة أم.. الخ.. نحن جننا وقلنا: البيارة دافعوا عن بيروت. هذا المصطلح هو حلّ صائب، تماماً كمصطلح «الحكم العثماني».

د. سنو: اعتقد اننا بقدر ما اختلفنا في اللجنة على المنهج عند وضع العناوين ولم ننته بعد، سيكون الخلاف أكبر وأضخم عند التأليف.

- د. الخطيب: مستوى الوعي هنا مهم جداً، خصوصاً الوعي الأسروي والتربوي، وعلينا ان ننبه الى أن وضع كتاب تاريخ موحد يحتاج الى بنية متكاملة العناصر والأدوار.

- د. سنو: لقد توصلنا في اللجنة الى تحديد مصطلحات مقبولة من الجميع، من قبيل: درس الرسم والنحت، فجعلنا العنوان الرئيسي لهذا الدرس «الفنون بين الماضي والحاضر» لأن الرسم والنحت يمثلان حساسية في الدين الإسلامي. لا مشكلة في وضع المصطلحات الا ان المشكلة التي تعترض طريق اللجنة ولا تزال هي ان كل طائفة تريد أن تدخل في دروس التاريخ بلدات وقرى وشخصيات لا يمكن لكل درس ان يتحمل عددها. حزب الله على سبيل المثال يريد أن يضع (عبر ما طلبه فنيش) 27 ضيعة وقرية شيعية، و17 شخصية تاريخية شيعية. وذلك في كتاب يتضمّن 21 درساً، ويُعطى في 21 ساعة. فما بالكم بالاحزاب الاخرى وبما تطلبه هي أيضاً من اسماء بلدات وشخصيات؟ ثمة عوائق عديدة تحول دون التوصل قريباً الى وضع كتاب موحد للتاريخ. لقد جرى عرقلة أعمال كل اللجان التي تعاقبت على هذا الموضوع.

- د. نعمان: كتاب التاريخ في لبنان هي قضية محورية، اما أن نتحقق وإما لا. ان لم نتحقق فلن يكون لدينا هوية أو انتماء أو كيان.

- د. حلاق: الواقع مرير، ولن يصدر كتاب تاريخ موحد في لبنان طالما ان هنالك سياسيين يتدخلون في هذه القضية.. وكلنا رأينا ماذا فعل سامي الجميل الذي زار رئيس الحكومة مع الشباب معترضاً. ان المقاومة بالنسبة للوجود المسيحي وما حدث معهم من قبل الجيش السوري ابان الحرب الأهلية، حرب الـ 100 يوم في الأشرفية، وما حصل في زحلة، هو مفهوم خاص بهم. هم يرون انهم قاوموا. هنا تكمن الخلافات بين الفئات اللبنانية. وأحب في هذه الندوة أن أشير الى ان الرئيس رفيق الحريري هو الذي شرّع للمقاومة اليوم المتمثلة في حزب الله من خلال تفاهم نيسان. والجدير ذكره ان ما فعله الحريري وما بذله على الصعيد الدولي لإنجاز هذا التفاهم، لم تشهده الأمة العربية من أيام عبد الناصر، وقد كان انجازاً كبيراً جداً.

- د. نعمان: برأبي ان الجهة التي بإمكانها أن تضع كتاباً موحداً في التاريخ، هي مؤسسة الجيش اللبناني، وقد اشرت الى ذلك في مقالة لي.

- حلاق، سنو، الخطيب: نتفق معك في هذا الاقتراح، ونوصي بحدوث ذلك، وبإيكال مهمة كتاب التاريخ المنشود الى المؤسسة العسكرية التي نثق بها.

- د. نعمان: وتلك ستكون خطوة مهمة وكبيرة على درب انجاز الكتاب الذي يوحد بين الأجيال. وخصوصاً ان قيادة الجيش نجحت في تأليف أكثر من كتاب عن الكلية الحربية وعن القضية الفلسطينية.

أدار الندوة: إلياس العطروني - غادة علي كلش

تصوير: جمال الشمعة



دز نشأت الخطيب: كيف نستطيع وضع كتاب تاريخ موحد ونحن لم نستطع إلى اليوم إنجاز قانون إنتخابي؟!

د. حسان حلاق: الطائف اعتبر أن الإختلاف في كتب التاريخ كان سبباً من أسباب الحرب

د. عبد الرؤوف سنو: الوزير ليون قال إن الحكومة الحالية لا تريد تأريخ الأحداث من العام 2005



د. جهاد نعمان: مؤسسة الجيش اللبناني هي الجهة التي بإمكانها أن تضع كتاباً موحداً للتاريخ